مقدمة

ما أصعب أن تكتب عن حياة واعظ داعية مثل الأستاذ محمد فتح الله كولن...

كان فكر الأستاذ متجهًا إلى أن يكون واعظًا وداعيًا ومصلحًا للفرد والجماعة، ولم يخطر بباله قط أن يكون أكاديميًّا يخاطب الخاصة، أو ينظم كتابته تنظيمًا علميًّا أكاديميًّا، ذلك أن الذي يعظ الناس ويألف ذلك ويجعل إصلاح الأفراد -رجالاً ونساءً- هدفه، ليس لديه وقت ليكتب تلك الكتابة الأكاديمية المنهجية التي يكتبها الباحثون الأكاديميون، ولم يكن لديه وقت ليكون واعظًا مثل "ابن الجوزي" الذي يعدّ أشهر واعظ في تاريخنا، وكان قادرا -مع ذلك- على أن يكتب كتبًا مثل كتابه الرائع "المدهش" وكتابه "بستان العارفين". لقد كان عصره غير عصرنا وكانت التحديات التي يواجهها أقل من تحدياتنا.

أما الأستاذ فتح الله كولن فقد وجد أمة تحتاج إلى أن تبعث من جديد، ووجد عصرًا يمكن أن نسميه عصر الاتصالات السريعة من الإذاعة والتلفاز إلى الإنترنت والفضائيات. وبما أن الرجل دخل معركة بعث الأمة في عصر الإلحاد والانحلال والمادية، وفي ظل التطور الهائل لوسائل الاتصال الحديثة... فقد تفرغ للدعوة الفردية، ليبني إنسانًا قريبًا من الإنسان الذي بناه الرسول ﷺ في مكة والمدينة. وكان المنهج هو

القرآن، وهو السيرة والسنة التي يتعامل معها بالقلب قبل العقل، وبتحريك الوجدان قبل تحريك اللسان.

ومن هنا كانت صعوبة الكتابة عن فكر فتح الله كولن المتناثر عبر كتبه، بعيدًا عن الالتزام الموضوعي والأكاديمي.

ومع ذلك فهذا الرجل العظيم أصبح "الشخصية الأكثر تأثيرًا في العالم" وفقًا للإحصاء الذي أجرته مجلة "السياسية الخارجية" الأمريكية ومجلة "بروسبكت" الإنكليزية في عام ٢٠٠٨م.

والعجيب أن ملايين المسلمين في العالم العربي لا يعرفون صاحب هذه الشخصية النادرة الذي يلقبه أبناء تركيا بلقب "خُوجَا أَفَنْدي" ومعناه "الأستاذ المعلّم"... فكيف حصل هذا التناقض بين هذه القمة الشامخة في ميدان الدعوة الإسلامية على المستوى العالمي، وجهل الناس به هذا الجهل المشين؟!

إننا نعتقد أن الأستاذ فتح الله كولن يتحمل قدرا من المسؤولية حول هذا الأمر، فهو بطبيعته يعمل لله مخلصا في صمت، لا يسعى إلى الشهرة، ولا يريد أن يتعرف عليه الناس على أنه نجم من النجوم، وإنما يريد أن يربي أجيالا صالحة كأنها تعيش معه في دار الأرقم بن أبي الأرقم في شعاب مكة، فالمهم أن تتخرج أجيال صالحة من مدرسة النبوة التي يسير على هديها الأستاذ المربّي فتح الله، والمهم أن يكونوا طليعة خير أمة أخرجت للناس تُبعث من جديد في عالم القرن العشرين، الذي يعج بمئات الملايين من البشر، الذين يعيشون في صراع مادي وغيبة إيمانية وحياة لاهثة وراء المادة...

وقد امتدت بالشيخ فتح الله كولن -والحمد لله- ميادين العمل، فكادت

تعم تركيا بطريقة هادئة كريمة شعارها "بناء الإنسان".

ومع أنه كان حريصا على الابتعاد عن السياسة، إلا أن السياسة حاصرته، وتعرض للسجن والنفي وحرمان محبّيه من الاتصال به إلا في أضيق الحدود سنوات طويلة.

وصبر الأستاذ على كل ذلك، حتى جاء يوم انتشرت فيه دعوته، بحيث أصبحت دعوته عالمية، لا تعتمد على المادة ولا على الحزبية، وإنما تعتمد على مبدأين، هما: "الخدمة" من خلال المساواة بين الجميع، لاسيما رجال الأعمال الذين يسمّون بـ"الأصناف".. إنهم هؤلاء الذين يبنون المدارس والمستشفيات والجامعات، دون أن تكون لهم أرصدة في البنوك، بل من أموالهم الذاهبة العابرة يبنون قدر ما يستطيعون. أما المبدأ الثاني الذي التزموا به فهو قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾(الكَهْف:١٩).

واليوم نستطيع أن نقول إنه توجد في كل المدن الكبرى في العالم مدارس عصرية استلهمت وجودها من فكر فتح الله كولن، وينطلق من خلفها مئات الألوف من الشبان المتواضعين العاملين بإخلاص، والملتزمين بقراءة فكر كولن، بعد التزامهم بفقه القرآن وفقه كتاب الكون.

* * *

تلك ومضات من قصة هذا الرجل "الأكثر تأثيرًا في العالم" الذي نُعرّف به ونقدم بعض فكره، آملين أن نُعرّف بطبيعة عمله الدعوي الذي نجح -من خلاله- في العمل المخلص دون الاقتراب من المجالات الحزبية أو السياسية، ودون الصراع مع أية مدرسة فكرية... وكل ما يهدف إليه فكر كولن وعمله إعادة بعث الأمة من جديد، على هدي كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وهدي آل بيته وصحابته الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.

obeikandi.com

ويسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني في جمع مادة هذا الكتاب وأسأله تعالى أن يوفّقنا إلى ما يحبّ ويرضاه، وبالله التوفيق.

أ.د. عبد الحليم عويس

٢١ يناير ٢٠١١م-

١٧ صفر ١٤٣٢هـ

obeikandl.com